

إفريقيا المسلمة متحمسة للغة القرآن ... ولكن ضعف الوسائل يحول دون انتشارها

شيخ شرفي مكي حيدر

(حلب)

تحمله حروفها وحكمتها من دلالات ومضامين هدتهم الى فهم آيات القردان واحاديث النبي وكل ما يتصل بروح الشريعة الاسلامية حتى اخذوا يؤلفون بالعربية دون لغاتهم الاصلية التي ما كانت لتستطيع التعبير من آرائهم وخواجهم بهذه الافاق المنطلقة .

والتأليف التي تركوها نقل في قيمتها العلمية من التي ألفها ابناء العرب الخالص .. ولا مبرر لهذا الاتجاه الا الحائز الذي دفعهم لادراك اسرار الشريعة الاسلامية ، ثم النزعة التي فاضت بها القلوب بحب هذه اللغة التي نزل بها القرآن فكانت الشعلة التي اوقدت الافكار فتركوا لنا تراثا ضخما ما تزال البشرية تعيش على روايته مختالة فخورا ..

ولا مجال لذكر الاعلام الذين ألفوا في العربية فهم من شتى الامم ، من الفرس والتراك والديلم والهنود ، حسبى ان اذكر الفارابي ، وابن جني ، والغزالي ، وابن سينا ، والفخر الرازي والبيروني ، والسهورودي ومشرات من الفحول الذين تركوا لغتهم وكتبوا تأملاتهم وادراهم في الدين والتصوف والعلم والادب والحكمة - كتبوها بالعربية الفصحى وما تزال متداولة حتى يومنا هذا ..

وفي خزانتي كتاب باللغة التركية عنوانه « عثمانلي مؤلفري (1) لمؤرخ اديب اسمه «بروسلي

لم اظهر مظاهر الترابط بين الاسلام ولغة القرآن ، ان الاسلام لا يمكن ان يفهم فهما كاملا بدون التعمق بدراسة لغة القردان ..

فقد نزل الوحي الرباني على النبي الكريم بهذه اللغة التي جمعت فاضت .. وكانت من البلاغة وسحر القول ما هز النفوس وايقظ الضمائر ..

وحين استفاضت الدهوة المحمدية لم تشمل العرب فحسب ، بل تجاوزتها الى الكثير من اقطار الدنيا فاستجاب لها امم من الشرق ومن الغرب ، متبائة الاهداف والانظمة والمقائد واللغات - استجابت للدهوة المحمدية لا لشيء الا لما تضمنته من مبادئ انسانية ونزهات مثالية ونظم خيرة وسنن كريمة ..

وقد اقبل غير العرب على تعلم لغة القردان بنية فهم محكم آياته فانكشفت لهم آفاق ترفع من كرامة الانسان وتمصون حقوقه وتثبته ليكون اداة بناء في دعم الحضارة الانسانية ..

وما هي الا فترات لم تطل ، جيلا بعد جيل ، حتى كانت العزبية ، قد هزت افئدة فطاحل الرجال الاذكياء من مختلف الامم ، ففكفوا وهم يدرسونها ، على التعمق في اسرارها فما كادوا يلمسون هذا الجمال ، وهذا الغنى في الفاظها ومفرداتها ، وفيما

(1) الكتاب في مجلدين كبيرين نيفت صفحتاهما على الستمائة صفحة بالحرف الصغير .

محمد طاهر» ترجم فيه لمئات المؤلفين الاتراك الذين دونوا علومهم بالعربية .. فهم مؤرخون وأطباء ورياضيون وجغرافيون وشعراء وأدباء وعلماء — الفوا بالعربية وبالتركية والفارسية وما الفوه بالعربية اكثر ..

وافتح هذا الكتاب على غير هدى ، واقرا سيرة عالم عرف باسم الـ «الكافجي» او «الكافيه جي» اسمه ابو محمد بن سليمان بن مسعود الهومي احد فضلاء الاتراك ، هجر قريته « برغمه » وقام برحلات الى اطراف الاناضول ، والى ايران ، والى آسيا الصغرى يتصل بالعلماء وياخذ عنهم ، ثم انتهى به المطاف الى مصر فاتصل بالملك الاشرف بريسي الذي اكرم وفادته وخلع عليه الخلع ، ثم ناط به احدى الرتب العلمية .

لقد ترك هذا المؤلف التركي عشرات الرسائل والكتب بالعربية منها :

- 1 - التيسير فى علم التفسير
 - 2 - انوار السعادة فى شرح كلمة السعادة
 - 3 - تشريح مسألة الاستثناء
 - 4 - الاشراق فى مراتب الطباق
 - 5 - سيف القضاة على البفاة
 - 6 - الفرح والسرور فى بيان المذاهب
 - 7 - نزهة الارواح ولهبة الاشباح فى التصوف
 - 8 - شرح تهذيب المنطق والكلام
 - 9 - منبع الدرر فى علم الاثر
 - 10 - منازل الارواح
 - 11 - المختصر المفيد فى علم التاريخ
 - 12 - حل الاشكال فى مباحث الاشكال والهندسة
 - 13 - تفسير الآيات المتشابهات
 - 14 - نزهة المغرب فى المشرق والمغرب
- ويصل عدد هذه الرسائل والكتب الى الاربعين كتابا .

واكثر الكتب التى اشار اليها مؤلف الكتاب ، هى مخطوطات لى مكتبات استانبول والاناضول ..

ولا اعلم اذا كانت بعثة الجامعة العربية لتصوير المخطوطات العربية التى قامت بمدة رحلات الى تركيا - قد اهدت الى هذه الآثار وصورت بعضها ..

* * *

كان علماء الاتراك فى عهد السلطنة العثمانية يؤلفون الكثير من كتبهم بالعربية كعلماء الفرس تماما ..

ومنذ عهد الغازي اتاتورك ، وقبله بسنوات ، اى منذ ذرت « المنصيرية الطورانية » قرنها - توقف هذا الاتجاه ، بل قضي عليه تماما بعد ان استبدل الاتراك الاحرف العربية بالاحرف اللاتينية - وهذه جنابة لا تفنفر لرضها اتاتورك على الشعب التركي الذى فصل بينه وبين الحرف العربي المقدس الذى نزل به القرءان .. وكانى به قد مس الاخوة الاسلامية فى الصميم وجعله يتجه الى الغرب بدل ارتباطه بالشرق وبالشرق الاسلامي بصورة خاصة .

واستدرك فاقول ان الشعب التركي بمجموع افراده وطبقاته ومجتمعاته متدين صديق التدين ، يفيض قلبه بروح الاسلام ، وما يزال مرتبطا بحسه وقلبه وضميره ببلاغة القرءان .. ولكن هذه الصلة بين الروح الاسلامية وبين الجيل الجديد سيمروها شيء من البلبلة والتفكك الا من عصم ربك !

اذكر بهذه المناسبة ان نقاشا كان دار بيني وبين صاحب جريدة « آقشام » - الماء - الاستاذ نجم الدين صادق - وهو من انصار اتاتورك المتحمسين - دار هذا النقاش حول الحرف اللاتيني ، واذكر انه قلت له : ان الجيل الجديد سيعيش فدا فى متاهات مظلمة حين يبحث من اصل الكلمات التى دخلت لفته - وقد دخلها الكثير من لغات الشرق والغرب - . وضربت مثلا عدة كلمات منها كلمة « المحبة » - والاتراك يقبلون الحاء «هـ» فيلفظون المحبة « مهبت » ، وامثالكم من الجيل القديم يدرك ان اصل الكلمة من « الحب » وهى كلمة عربية ، اما الجيل الجديد - وقد قطع صلته بالحرف العربي - فسيجعل الكثير من اصل الكلمات التى يتحدث بها او يكتبها - سيجعل اهي عربية الاصل أم الفرنسية ام سنسكريتية - وبذلك تطفى البلبلة على افهام النشء الجديد الذى سيعيش فى تبه من الرطانات!

واقر بالامر .. ثم قال اننا اخترنا الخطة التى رسمها الغازي ولا حيلة لنا فى الامر ، ولسنا نادمين!

عربية صافية تهرز المشاعر بإيقاعها الموسيقي ، وتثير
الإنهام بمعانيها السامية التي صانت «حقوق الإنسان»
وحددت له واجباته ومسؤولياته نحو الله والمجتمع -
استطاعت لغة هذه الرسالة ان تكتسح بقية اللغات
وان تحتل الصدارة في البيئات الرسمية والشعبية
وعلى السنة القوم على اختلاف نحلهم ومداهبهم ،
وما هي الا فترات لم تطل حتى انقلبت بلاد الشام
عربية اللسان ، وعربية الفكر والقلب والوجدان ،
وانضوت بأكثريتها تحت راية القرآن .

لقد كان هذا الحدث من اقوى العوامل
والاسباب التي ربطت ، في الاقليم الذي اميش في
ظلاله ، بين العربية والاسلام .

ومن الشام انطلقت البعثات تنشر هذه
الرسالة، رسالة النبي العربي في انحاء الدنيا ..
تنشر الدين واللغة معا . واذا الاسلام ببلاغة القرآن
وبدستوره المحكم يقضي على الوثنيات ويصبح للغة
العربية هذه القداسة في نفوس القوم والاداة المعبرة
من هواجسهم وآرائهم في شتى شؤون الحياة
والمجتمع ، وفي شتى الوان المعرفة ..

هذا وان آثار لغة القرآن جليلة في انتاج علماء
المجسم .

نلمس ذلك فيما كتبه شاعر باكستان
المظيم محمد اقبال ، ففي اكثر كتاباته صور من
نفحات القرآن ، والفاظ تنبع من صميم القرآن .

ونلمس هذا عند شاعر الترك الاعظم عبد الحق
حامد . فالكثير من شعره وادبه مردان بنفحات من
كتاب الله العظيم ..

واستطاع القرآن ان يصون لهجات الجاليات
الاسلامية في الاقطار الغربية - من الهلثة ، بل كان
له اثره في اضفاء رونق جميل على ادبهم . وهذا ما
نلمسه في ادب المهجريين وفتنهم وأكثرهم من
اخواننا المسيحيين ا

هذا وقد استطاعت العربية ان تفرض ذاتها
على الكثير من الامم الاسلامية فكان لبلاغة القرءان
اثرها في النفوس وفي العقول وفي الأدواق .. ومن
هنا ظل الترابط وثيقا بين العربية والاسلام ، وكان
لهذا الترابط اثره في هير المسلمين ولدى
المستشرقين بصورة خاصة فاننا نقرأ لكثيرين منهم
دراسات باللغة العربية على غاية من العمق والقيمة
الفكرية .

قد يقال ان حكوف المستشرقين على تعلم
العربية يختلف كل الاختلاف على اولئك الذين
اجتذبهم الاسلام الى رحابه ودخلوا في دين الله
افواجا .. ولا نقول غير ذلك .. الا ان غنى اللغة
وسحرها واستيعابها لتزوج الاسلام ولشريعته
السمحة هي التي اجتذبتهم الى دراستها فتركوا
آثارا تمتاز بها الدراسات المنهجية وان شاب الكثير
منها نزغات وشكوك ولوثات لم تخف على الباحثين
الذين تناولوها بالرد على ضوء من الحقائق المجردة
التي ترفض العقل والضمير ويقررها الايمان والفكر
الحس ..

ويعد فليس هنا مجال التوسع في هذا
الاستطراد الذي جاء مرصا وانا اشير الى لغتنا
الجميلة التي عاشت مع القرون وما زالت حية نابضة
معبزة عن الكثير من الخلجات الانسانية ، تأخذ
وتعطي دون ان يصيبها الهزال او الشيخوخة او
الموت الذي اصاب الكثير من اللغات ا

وقد ظلت العلاقة بين الاسلام واللغة العربية
غير منفصلة طوال عصور التاريخ .

ففي بلد الشام، ونرجع الى عهد الفتح العربي،
كانت لغة السوريين خليطا من الآرامية والسريانية
واليونانية وغيرها من لغات ولهجات .

وكانت العربية على لسان بعض القبائل
والمشيخات العربية القاطنة في الاطراف والتخوم ،
فلما جاء الفتح العربي يحمل رسالة السماء بلغة